Journal of Alasmarya University
Vol. 34, No. 1 (March 2021) pp:156-175
مجلة الجامعة الأسمرية: العلوم الشرعية والإنسانية
المجلد 34 العدد 1 (مارس 2021) ص ص: 156-175

التَّغايرُ الإعرابيُّ بين القراءاتِ المتواترةِ وتأثيرُه في المعنى

دراسةٌ وصفيةٌ تحليليةٌ لنماذجَ مختارة

إبراهيم أحمد عبد الجليل

قسم اللغة العربية، كلية الدراسات الإسلامية، جامعة مصراتة

ibrahemabduljalel@gmail.com

الملخص

هدفت الدراسة إلى تناول نماذج مختارة اختلف القراء العشرة في قراءتها بين الحركات المختلفة في الأسماء وفي الأفعال، وتبيين الأثر الناجم عن التغاير الإعرابي بين كل قراءة من القراءات القرآنية الواردة في هذا العمل، وأن تؤصل لمنهج التعامل مع القراءات القرآنية في التوجيه بالاستعانة بكتب اللغة والتفسير والتوجيه، واستخدم لتحقيق ذلك المنهج التحليلي، ومن أهم نتائجها تعدد القراءات القرآنية في الآية الواحدة، يقوم مقام تعدد كلمات القرآن الكريم، وهذا من إعجاز كلام الله رب العالمين، ومما انفرد به النص الكريم، ولا يستطيعه لغوي، أو بياني في تصوير خيال، وأن الاختلافات في القراءة القرآنية على كثرتها لا تؤدي إلى تناقض بل إلى تنوع، ومعنى هذا أن القرآن معجز إذا قرئ بهذه القراءة، ومعجز أيضا إذا قرئ بالقراءة الثانية، ومعجز كذلك إذا قرئ بالقراءة الثالثة، وهلم جرا، ومن هنا تتعدد المعجزات بتعدد تلك الوجوه والحروف، وأن مجموع القراءتين المتواترتين قد يكون دالا على معنيين في لفظ واحد متلاقيين غير متضادين، وقد يكون اختلاف القراءتين مؤديا إلى بيان حكم بقراءة، وبيان حكم آخر متمم له بقراءة أخرى، فتستفاد الأحكام في أوجز تعبير، وذلك من الإيجاز المعجز، الذي لا يوجد في كلام الناس، ولكنه في كلام خالق الناس.

الكلمات المفتاحية: القراءات القرآنية، التغاير الإعرابي

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، ولم يجعل له عوجًا، أحمده عدد كل شيء، وملء كل شيء، حمدًا لا ينقضي أبدًا، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد...فإن القراءات القرآنية ميراثٌ خالد، اختصت به أمة الإسلام من بين سائر الأمم، فعلم القراءات علم جليل له من الرواية ذروة سنامها، ومن الدراية صافي دررها، وإحكام مبانيها والتبحر في مقاصدها والغوص في معانيها بحر لا ساحل له، وغور لا قاع له وفي هذا البحث سأتحدث عن التغاير الإعرابي ودلالته في القراءات القرآنية المتواترة، فقد شد انتباهي وجود اختلافات بينها في الحركات الإعرابية، مع تأكيد أن هذه الاختلافات، ليس فيها تناقض، أو تعارض، بل هو اختلاف تنوع وتعدد،

ISSN: 2706-9524 (Print) ISSN: 2706-9532 (Online)

وهو ما يزيد تنورا في الفهم، ووضوحا في المعنى، وعُدَّ ذلك من إعجاز القرآن الكريم﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82].

أهمية الدراسة:

أهمية كل علم من أهمية مصدره، وهذه الدراسة مصدرها وأساسها القرآن الكريم وقراءاته المتواترة وكفاها بذلك شرفا ورفعة وأهمية، تحاول هذه الدراسة جاهدة بيان الأثر في تنوع القراءات المتواترة في المعنى وكيف أثرى اختلاف القراءات المتواترة المعاني الواقعية والتربويات القرآنية وكونه كتاب هداية وإرشاد إلى قيام الساعة.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

أن توجه النماذج المختارة من القراءات المتواترة ذات الأثر في المعنى لغويا وتفسيريا.

أن تبين الأثر الناجم عن التغاير الإعرابي بين كل قراءة من القراءات القرآنية الواردة في هذا العمل .

أن تؤصل لمنهج التعامل مع القراءات القرآنية في التوجيه بالاستعانة بكتب اللغة والتفسير والتوجيه .

الدراسات السابقة:

كان لأئمتنا من العلماء السابقين– رحمهم الله– جهودٌ طيبة في موضوع القراءات القرآنية والدرس اللغوي توجيها وتفسيرا واستشهادا، وبعد البحث والتنقيب عن تلك الجهود عثرت على الآتي :

أثر القراءات القرآنية في توجيه المعنى التفسيري: للدكتور أحمد قاسم عبد الرحمن، جامعة الأنبار، كلية العلوم الإسلامية، الرمادي، قسم التفسير وعلوم القرآن، مجلة جامعة الأنبار الإسلامية، بحث محكم.

ركز البحث على اختلاف القراءات القرآنية، وأثره في الحكم الفقهي في ثلاثة مواضع متفرقة من القرآن الكريم مع نسبة القراءة لأصحابها وسرد أقوال العلماء في معانيها مبرزا أثره في الحكم الفقهي، حيث أفصح البحث عن تطبيق عملي لاختلاف القراءات على أرض الواقع

الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية: محمد عبد العزيز الجمل، بإشراف: فضل حسن عباس، الأردن، جامعة اليرموك، دكتوراه، 2005م.

عنيت الدراسة بالتوجيه البلاغي للقراءات القرآنية وأثره في المعنى وربطه بمقاصد القرآن الكريم وجوانبه من تشريع وتوجيه وتربية وغيرها.

أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن "دراسة تطبيقية في سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران والنساء " ،هديل محمد عطية- يوسف المنيراوي، الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم التفسير، غزة، ماجستير، 1430-2009م.

أظهرت الدراسة أهمية الإعراب، وأثره في التفسير التحليلي، كما سلطت الضوء على أثر اختلاف الإعراب في تعدد المعاني التفسيرية، وتطبيقها على سورة الفاتحة، والبقرة، وآل عمران، مبينة العلاقة بين الإعراب والمعنى الدلالي متطرقة للقراءات المختلف في حركتها الإعرابية في كل سورة من السور التي تم تناولها (في الدراسة)، وما لذلك من دلالات وإثراء للمعاني التفسيرية .

التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية للباحث : أحمد سعد محمد

وهو كتاب واضح المضمون من عنوانه، فقد اعتنى مؤلفه بالنواحي البلاغية وإبرازها في توجيه القراءات القرآنية، وهو جانب مهم في ميدانه، وقد عرض لأهمية القراءات القرآنية في إثراء المعنى وتوسيع الدلالة.

منهج الدراسة:

المنهج التحليلي ويتلخص في توجيه القراءات الواردة في النماذج المختارة وبيان أثرها .

خطة الدراسة:

اقتضت طبيعة الموضوع أن يجيء البحث بتوطئة قبله مقدمة، ومبحثان تحت كل مبحث مطلبان، ثم خاتمة تحمل أهم النتائج، وقائمة بالمصادر والمراجع .

وهي على النحو الآتي :

المبحث الأول: التغاير الإعرابي في الأسماء وأثره في المعنى

المطلب الأول: التغاير بين الرفع والنصب وأثره في المعنى

المطلب الثاني: التغاير بين النصب والخفض وأثره في المعنى

المبحث الثاني: التغاير الإعرابي في الأفعال وأثره في المعنى

المطلب الأول: التغاير بين الرفع والجزم في الأفعال وأثره في المعنى

المطلب الثاني: التغاير بين النصب والرفع في الأفعال وأثره في المعنى

الخاتمة وفيها أهم النتائج:

المصادر والمراجع:

توطئة

لما كان عنوان البحث هو التغاير الإعرابي بين القراءات المتواترة وتأثيره في المعنى فإنه أرى لزاما عليَّ أن أستجليَ بعضَ المصطلحات ليكون القارئ على بينة من الأمر وهي على النحو الآتي:

معنى التغاير الإعرابي: التغاير هو مصدر يعني: الاختلاف والتنوع، والمراد به هنا هو اختلاف الحركات الإعرابية في الكلمة الواحدة بسبب اختلاف القراءات القرآنية المتواترة، وكل قراءة صارت بمنزلة آية.

القراءات القرآنية المتواترة: فالقراءات: هي تلك الوجوه اللُّغويَّة والصَّوتيَّة الأدائيَّة – التي أباح رسول الله بها قراءة القرآن– تيسيراً وتخفيفاً على العباد، ألَّفت بمجموعها علماً نُقل إلينا عن طريق الرُّواة بالسَّند المتَّصل إلى رسول الله ﷺ، فكان مصدرها بذلك هو الوحي المنزل على رسول الله ﷺ [1].

وسأذكر على سبيل الاختصار ترجمة للقراء العشرة الذين أجمعت الأمة على تواتر قراءتهم معتمدا على مرجع مهم يعطي المطلوب من دون زيادة أو نقصان؛ وهو غاية النهاية في طبقات القرَّاء للمحقق ابن الجزري:

"نافع المدني": أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي، أصله من أصفهان، توفي بالمدينة سنة تسع وستين ومئة [2].

- " ابن كثير ": عبد الله بن كثير المكي. وهو من التابعين. توفي بمكة سنة عشرين ومئة [3].
- " أبو عمرو البصري ": زيان بن العلاء بن عمار المازني البصري. وقيل اسمه يحيى، وقيل اسمه كنيته، وتوفي بالكوفة سنة أربع وخمسين ومئة [4].
- " ابن عامر الشامي ": عبد الله بن عامر الشامي اليحصبي قاضي دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك، ويكنى أبا عمران، وهو من التابعين، وتوفي بدمشق سنة ثمان عشرة ومئة [5].

(1) منصور. محمد عبد القادر. (1422هـ).موسوعة علوم القرآن. الطَّبعة الأولى. دار القلم العربي. حلب:(195).

(2) ينظر: ابن الجزري. أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف . غاية النهاية في طبقات القراء. د/ط. مكتبة ابن تيمية: (2/330-334).

(3) ينظر: المرجع السابق: (1/443-445).

(4) ينظر: المرجع السابق: (1/288-293).

(5) ينظر: المرجع السابق: (1/423-425).

- " عاصم الكوفي ": عاصم بن أبي النجود، ويقال له ابن بهدلة، ويكنى أبا بكر، وهو من التابعين، وتوفي بالكوفة سنة ثمان وعشرين ومئة [1].
- " حمزة الكوفي ": حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات الفرضي التيمي، ويكنى أبا عمارة وتوفي بحلوان في خلافة أبي جعفر المنصور سنة ست وخمسين ومئة [2].
- " الكسائي الكوفي ": علي بن حمزة النحوي، ويكنى أبا الحسن، وقيل له الكسائي من أجل أنه أحرم في كساء – وتوفي حين توجه إلى خراسان مع الرشيد سنة تسع وثمانين ومئة [3].
- أبو جعفر المدني: يزيد بن القعقاع، وتوفي بالمدينة سنة ثمان وعشرين ومئة [4].
- " يعقوب البصري ": أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي، وتوفي بالبصرة سنة خمس ومئتين [5].
- " خلف ": أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب البزار البغدادي، وتوفي سنة تسع وعشرين ومئتين [6]. [6].

المبحث الأول/ التغاير الإعرابي في الأسماء وأثره في المعنى:

من صور الإعجاز اللافتة للنظر في القراءات القرآنية المتواترة قراءة الكلمة بحركات تختلف عن الحركات في قراءة أخرى متواترة كذلك، وذلك بهدف تكثير المعنى و تنوعه، إذ كل قراءة بمثابة آية، وفي هذا المبحث سنقف على طرف من هذا الإعجاز مع آيات مختارة قرئت بحركات مختلفة نتج عنها معان متنوعة في قسم الأسماء خاصة، وهو ما يسمى ببلاغة الإعراب الناشئة عن تغاير القراءات، وسأتناول في المطلب الأول من هذا المبحث التغاير بين الرفع والنصب وتأثيره في المعنى العام للآية الكريمة، وفي المطلب الثاني التغاير بين النصب والخفض وتأثيره في المعنى.

المطلب الأول/ التغاير بين الرفع والنصب في الأسماء وأثره في المعنى:

1) قوله تعالى﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: 37]

(1) ينظر: المرجع السابق: (1/346-349).
(2) ينظر: المرجع السابق: (1/261-263).
(3) ينظر: المرجع السابق: (1/535-540).
(4) ينظر: المرجع السابق: (2/383).
(5) ينظر: المرجع السابق: (2/386-389).
(6) ينظر: المرجع السابق: (1/272-274).

اختلف القراء العشرة في هذه الآية، فَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ بِنَصْبِ "آدَمَ " وَرَفْعِ "كَلِمَاتٍ" وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِرَفْعِ ﴿آدَمَ﴾ وَنَصْبِ ﴿كَلِمَاتٍ﴾ بِكَسْرِ التَّاءِ [(1)] .

قراءة الجمهور برفع ﴿آدم﴾ونصب ﴿كلمات﴾ جعلت آدم –عليه السلام – هو الذي تلقى الكلمات؛ لأنه هو الذي قبلها ودعا بها وعمل بمقتضاها فتاب الله عليه، فهو الفاعل لقبوله الكلمات، والكلمات هي المقبولة فهي المفعول به.

وإعرابها على هذه القراءة أن ﴿ آدم﴾ فاعل، و﴿ كلمات ﴾ مفعول به منصوب وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة لأنه جمع مؤنث سالم .

وأما قراءة ابن كثير بنصب ﴿ آدم﴾ ورفع ﴿ كلمات ﴾ فدلالتها جعل الكلمات هي التي استنقذت آدم بتوفيق الله سبحانه له بقوله إياها والدعاء بها فتاب الله عليه، فكأنها هي الفاعلة وهو المستنقذ بها، وكان الأصل أن يقال : فتلقت آدم من ربه كلمات لكن لما طال الفصل بين الفاعل المؤنث وفعله حسن حذف التاء علامة التأنيث، وأيضا لأن كلمات مؤنث مجازي ولأن الكلمات والكلام بمعنى واحد فحمل عليه، وذهب ابن خالويه إلى أنَ الْحجّة لمن نصب "آدم" أَن يَقُول : مَا تلقاك فقد تلقيته، وَمَا نالك فقد نلته، وَهَذَا يُسَمِّيه النحويون الْمُشَاركَة فِي الْفِعْل [(2)] .

وإعرابها على هذه القراءة أن " آدم " مفعول به مقدم، و" كلمات" فاعل مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

وكلتا القراءتين تدلان على جانب مهم، فقراءة رفع آدم ونصب كلمات دلت على ما كان يعانيه آدم –عليه السلام– بعد الزلة من أسف وندم وألم، فهو باحث عما ينجيه مما وقع فيه، وقراءة ابن كثير بنصب "آدم" ورفع "كلمات" دلت على عناية الله تعالى بآدم واصطفائه واجتبائه له، وصارت الكلمات باحثة عنه فهي التي تتلقاه [(3)] .

2) قوله تعالى ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الصافات: 125، 126]

قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب وخلف العاشر﴿ الله ربكم ورب ﴾ بنصب الأسماء الثلاثة، وقرأها الباقون بالرفع [(4)] .

(1)النشر في القراءات العشر (2/ 211)

(2) مكي. الكشف 237/1 وحجة القراءات (ص: 95)

(3) فضل عباس. القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص 35

(4) النشر في القراءات العشر (2/ 360)

قال السمين الحلبي في توجيه القراءتين:" قراءة النصب فيها ثلاثة أوجه: النصبِ على المدحِ، أو البدلِ، أو البيانِ من ﴿ أحسن الخالقين ﴾ ونصب " ربكم " على النعت لـ﴿ الله ﴾ وعطف عليه ﴿ ورب آبائكم الأولين﴾.

وقراءة الرفع إمَّا على خبرِ ابتداءٍ مضمرٍ أي: هو اللَّهُ، أو على أنَّ الجلالةَ مبتدأٌ وما بعدَه الخبرُ" وعندما نتجاوز حدود الإعراب والصنعة وننظر في القراءتين من حيث المعنى نجد أن قراءة النصب تأتي منسجمة مع ظاهر الإعراب، وتصل الآية الثانية بالآية الأولى في رباط وثيق ونظم أنيق، وذلك أننا أعربنا لفظ الجلالة " الله " بدلا، والبدل هو التابع المقصود بالحكم، فيصير النظم : أتدعون بعلا وتذرون الله ربكم ورب العالمين" [(1)] .

وعلى قراءة الرفع نجد دقة في المعنى وعمقا وجلالا، ذلك أن إخراج الكلام عن ظاهر الإعراب وقطعه عما قبله فيه إثارة للفكر وإمعان في المدح أو الذم أو الترحم

ويعطي معنى الخصوصية للفظ المقطوع، وكأنه قيل : تيقظوا وانتبهوا لما يقال، فأحسن الخالقين هو الرب المنادى عليه باسم " الله " ويقوي ذلك إعراب" الله " خبر لمبتدأ محذوف. أي هو الله دون غيره.

وهكذا نجد كل قراءة تحمل معاني عظيمة، وهي بمنزلة آية أخرى.

3) قوله تعالى ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: 39]

اختلف القراء العشرة في﴿والقمر﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَنَافِعٌ وَأَبُو عَمْرٍو وَرَوْحٌ بِرَفْعِ الرَّاءِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِنَصْبِهَا [(2)] .

فالحجة لمن رفع أَنه جعل ﴿القمر﴾ مبتدأ، وَجعل مَا بعده خَبرا عَنهُ، وَالْهَاء عَائِدَة عَلَيْهِ وَبهَا صلح الْكَلَام، وَالْحجّة لمن نصب أَنه أضمر فعلا فسره مَا بعده، فَكَأَنَّهُ فِي التَّقْدِير: وقدرنا الْقَمَر قدرناه.[3]

وعليه فعلى قراءة الرفع يكون مدار الحديث على المبتدأ، ﴿القمر﴾، فهو المبتدأ الذي يؤسس الكلام فيه، وفي قراءة النصب يكون على الاشتغال، و مدار الحديث عن الفعل والحدث الذي فيه، وهو التقدير، وكل هذا من جزئيات قاعدة سيبويه "يقدمون الذي بيانه أهم، وهم بشأنه أعنى، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم" [(4)] .

(1) الدر المصون 327/9

(2) النشر في القراءات العشر (2/ 353)

(3) الحجة في القراءات السبع (ص: 298)

(4) الكتاب لسيبويه (1/ 34)

4) قوله تعالى ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: 26]

قَرَأَ نافع وأبو جعفر وَابْنُ عَامِرٍ وَالْكِسَائِيُّ بِنَصْبِ السِّينِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِرَفْعِهَا [(1)].

القراءة بنصب السين عطفا على كلمة ﴿ ريشا﴾ فيكون المعنى أنزلنا عليكم ريشا وأنزلنا عليكم لباس التقوى .

والقراءة برفع السين على الابتداء أو الخبر، فعلى الابتداء يكون التقدير ﴿لباس التقوى " مبتدأ و﴿ذلك﴾ مبتدأ ثان و ﴿ خير﴾ خبر المبتدأ الثاني، والجملة في محل رفع خبر المبتدأ الأول، وعلى تقدير كون ﴿لباس﴾ خبر يكون ﴿لباس التقوى﴾ خبر لمبتدأ محذوف تقديره : هو لباس التقوى [(2)]. وعلى كلتا القراءتين إخبار من الله تعالى بإنزال لباسين : لباس الرياش، ولبس التقوى
فقراءة النصب أن الله يمن علينا بكلا اللباسين باللباس المادي واللباس المعنوي.

وقراءة الرفع فإن الكلام تم عند قوله تعالى﴿ وريشا﴾ فيكون الإنزال غير شامل للباس التقوى، ويكون ﴿ولباس التقوى﴾ استئناف غرضه لفت الأنظار إلى هذه الصفة المعنوية التي سماها الله لباسا وهي التقوى، والإشارة إلى أن اللباس الذي يستر العورة هو لباس المتقين، فالمتقون هذا شأنهم، وفيه تعريض بغيرهم ممن لا يلبسون هذا اللباس [(3)].

المطلب الثاني : التغاير بين النصب والخفض وأثره في المعنى

1- قوله سبحانه﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: 57]

اختلف القراء في ﴿والكفار﴾ فقرأ أبو عمرو البصري وتلميذه يعقوب الحضرمي والكسائي بخفض الراء، وقرأ الباقون بنصبها[(4)].

فقراءة الخفض جاءت على النسق على ﴿الذين أوتوا الكتاب﴾ والمعنى: من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الكفار.

(1) النشر في القراءات العشر (2/ 268)
(2) مكي . الكشف 460/1
(3) ينظر: الجمل. الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة 637
(4) ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 2/ 288

وأما قراءة النصب فهي نسق على ﴿لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزؤا ولعبا﴾ ولا تتخذوا الكفار أولياء، أي معطوفة على " الذين "[1].

وباختلاف القراءتين نحويا، اختلفت الدلالة وتغاير المعنى أيضا؛ لأن قراءة الخفض أفادت النهي عن اتخاذ المستهزئين أولياءَ، وبيَّنت أن المستهزئين صنفان: أهلُ كتاب متقدم، وهم اليهود والنصارى، وكفارٌ عبدةُ أوثان، وإن كانَ اسمُ الكفر ينطلق على الفريقين، إلا أنه غَلَب على عبدة الأوثان اسم الكفار، وعلى اليهود والنصارى اسم أهل الكتاب.

وأما قراءة النصب فليس فيها تعرُّضٌ للإخبار باستهزاءِ المشركين، وإن كانت هذه الصفة ثابتة لهم في مواضع أخرى من كتاب الله وإنما المنهي اتخاذهم أولياء.

2- قوله سبحانه﴿**وَاللَّهُ** مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: 8، 9]

اختلف القراء في ﴿متم نوره﴾ فقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف وحفص﴿متم﴾ بغير تنوين ﴿نوره﴾ بالخفض، وقرأ الباقون بالتنوين والنصب.[2]

إعراب قراءة الخفض وعدم التنوين هو أن اسم الفاعل﴿ متم﴾ دال على الماضي فأضيف إلى مفعوله، والعرب استعملت الإضافة في الماضي، ويجوز أَن يُرَاد بِهِ التَّنْوِين ثمَّ يحذف التَّنْوِين طلبا للتَّخْفِيف[3].

وأما الإعراب على قراءة من نون اسم الفاعل ونصب﴿ نوره ﴾أن اسم الفاعل هنا عامل عمل فعله؛ لأنه دال على الاستقبال فرفع فاعلا ضميرا مستترا ونصب المفعول به قال النحاس: " وحجتهم أَن الْفِعْل منتظر فالتنوين الأَصْل وَهُوَ وعد من الله فِيمَا يسْتَقْبل"[4].

في هاتين القراءتين المتواترتين، تتجلى روعة اللغة العربية، وجمالها، فبتغيير حركة واحدة، تحصلنا على معاني عظيمة، ذلك أن قراءة الإضافة، ترشد إلى أن الله سبحانه قد أتم نوره، بانتشار الإسلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتمكين لأهله والنصر على أعداء الإسلام، وهذه منة عظيمة، امتن الله بها على أولئك المستضعفين الذين كانوا يتخطفون في أرضهم، ولا يستطيعون الجهر بإسلامهم، فنصرهم الله سبحانه، وقوى شوكتهم، ومكنهم من إقامة دولة، لها هيبتها ومكانتها ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ

(1) ينظر: الحجة في القراءات السبع (ص: 132)

(2)النشر في القراءات العشر (2/ 387)

(3) حجة القراءات (ص: 708)

(4) ينظر: السابق

مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال:27]

ولكن لمَّا كان الإسلام للمسلمين في كل زمان ومكان، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، جاءت قراءة التنوين لتحمل الوعد منه سبحانه بنصرة المسلمين اللاحقين، ولتنزل الطمأنينة على قلوبهم بأن الله معهم ناصرهم، وممكن لهم في الأرض متى تمسكوا بدينهم ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: 57].

كل هذه المعاني العظيمة عبرت عنه حركتان اثنتان، فأي نظم هذا؟ وأي إعجاز أعظم من هذا الإعجاز؟ تغيير حركتين، تشيع في جوانب الآية الكريمة كل هذه المعاني والدلالات والإيحاءات بما تعجز عنه الكلمات، وتقصر عنه الجمل الطوال والعبارات، بلى، إنه تنزيل من فاطر الأرض والسموات.

3- قوله تعالى﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: 6]

اخْتَلَف القراء العشرة فِي: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ فَقَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ عَامِرٍ وَالْكِسَائِيُّ وَيَعْقُوبُ وَحَفْصٌ بِنَصْبِ اللَّامِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْخَفْضِ [(1)].

والإعراب على قراءة نصب ﴿ أرجلكم ﴾ أنها معطوفة على " وجوهكم "

وعلى قراءة جرها أقوال عديدة منها أنها معطوفة على ﴿ رؤوسكم ﴾ أو على الجوار [(2)]

فقراءة النصب تفيد غسل الأرجل؛ لأنها حينئذ تكون معطوفة على المغسولات، وهذه لا إشكال فيها، وأما قراءة الجر فتحتمل الإشارة إلى أكثر من حكم عند العلماء، فمنهم من حملها على مسح الخفين، وحملها آخرون على مسح الرجلين دون الغسل، ورأى غيرهم وجها آخر[(3)].

وخلاصة قولهم أن قراءة النصب يراد بها غسل الرجلين، وقراءة الخفض يراد بها المسح مع الغسل يعني الدلك باليد أو غيرها، ولعل الحكمة في هذا أن الرجلين هما أقرب أعضاء الإنسان إلى ملابسة الأقذار لمباشرتها الأرض، فناسب ذلك أن يجع لهما بين الغسل بالماء والمسح أي الدلك باليد ليكون ذلك أبلغ في التطهر والتنظيف [(4)].

(1) النشر في القراءات العشر (2/ 254)

(2) إعراب القرآن للنحاس (1/ 259)

(3) ينظر: الزمخشري . الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (1/ 611)

(4) ينظر: محمد الأمين الشنقيطي أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن1/336

قال ابن العربي :" إن المسألة تبقى محتملة لغة، محتملة شرعا للرأي والرأي المقابل ،وَطَرِيقُ النَّظَرِ الْبَدِيعِ أَنَّ الْقِرَاءَتَيْنِ مُحْتَمَلَتَانِ، وَأَنَّ اللُّغَةَ تَقْضِي بِأَنَّهُمَا جَائِزَتَانِ"[1] .

4- قوله تعالى﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التوبة: 100]

اختلف القراء فيها فقرأ ابن كثير ﴿تجْرِي من تحتهَا الْأَنْهَار﴾ بزيادة " من "، وقرأ الباقون بدون "من"[2] والإعراب واضح لا لبس فيه على القراءتين، والفرق بينهما في المعنى – كما قال علماء التوجيه – أنه إذا ألحق" من " أفاد أن الأنهار مبتدأ جريها من أسفل الجنات؛ لأن "من" لابتداء الغاية، ومن نصب ولم يلحق" من" أفاد أن الأنهار جارية من جهة أسفلها.

ولا شك أن رؤية ابتداء جري الأنهار سرٌّ جماليّ و منظر غاية في الحسن يختلف عن رؤية الأنهار تجري دون رؤية مبتدئها، وتلك مقامات في التكريم والسرور قد يخص الله تعالى بها أقواما معينين.

المبحث الثاني/ التغاير الإعرابي في الأفعال وأثره في المعنى:

في هذا المبحث سنقف على آيات مختارة قرئت بقراءات متنوعة الحركات في قسم الأفعال مما نتج عنه تنوع في الدلالة، وهو ما يعد مظهرا من مظاهر الإعجاز القرآني حيث تتعدد وجوه الدلالة وتتنوع الأساليب مما يفضي إلى إثراء المعنى وغنائه، فكل قراءة تشير إلى قيمة من القيم ولا تصادم القراءة الأخرى أو تعارضها، وسنقف في المطلب الأول على تغاير بين الرفع والجزم في قسم الأفعال وتأثيره في المعنى، وفي المطلب الثاني تغاير بين النصب والرفع في الأفعال و تأثيره في المعنى.

المطلب الأول/ التغاير في الأفعال بين الرفع والجزم و تأثيره في المعنى:

1- قوله سبحانه ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: 5]

في هذه الآية الكريمة قراءتان متواترتان، قرأ أبو عمرو البصري والكسائي بجزم الفعلين المضارعين﴿يرثني ويرث ﴾ والباقون بالرفع فيهما.[3]

اختلفت الدلالة اللغوية باختلاف القراءتين، فمن جزم الفعلين، فقد جعل الفعل الأول مجزوما في جواب الدعاء وهو قوله سبحانه﴿ فهب لي من لدنك وليا ﴾لأن معنى الشرط موجود فيه، وجعل الكلام متصلا بعضه ببعض، وقدر الولي بمعنى الوارث، والتقدير: فهب لي من لدنك وليا وارثا يرثني، وتقوت

(1) ابن العربي. أحكام القرآن (2/ 72)

(2) ابن الجزري. النشر في القراءات العشر (1/ 11)

(3) ينظر: الدمياطي. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ص: 376

هذه القراءة بكون﴿وليا﴾ رأس آية مستغنيا عن أن يكون ما بعده صفة له، والفعل الثاني﴿ ويرث﴾ تابع للأول، معطوفا على﴿ يرثني ﴾ [1].

ومن قرأ بالرفع في الفعلين، وهم الباقون من القراء، جعلوا الفعل المضارع وفاعله المستتر فيه في محل نصب، صفة لكلمة:﴿وليا﴾ ؛لأن الجمل بعد النكرات صفات، و لأنه نكرة عاد الجواب عليها بالذكر ودليله قوله تعالى ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: 103] ولأن زكرياء عليه السلام سأل ربه وليا وارثا علمه ونبوته، وليس المعنى على الجزاء أي: إن وهبته ورث ذلك؛ لأنه ليس كل ولي يرث فإذا لم يكن كذلك لم يسهل الجزاء. [2]

والصواب أن كلتا القراءتين صواب، وأن المعاني التي أتت منهما تكاد تكون واحدة؛ فزكرياء – عليه السلام– يجتهد في الدعاء بأن يرزقه الله الولد، لا من أجل شهوة دنيوية، وإنما من أجل مصلحة الدين والخوف من تضييعه وتبديله، والحرص على من يرثه في علمه ونبوته، ويكون مرضياً عنده ﷻ[3].

2– قوله سبحانه﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة:284]

اختلف القراء في ﴿ يغفر ويعذب﴾ فقرأ ابن عامر وعاصم وأبو جعفر يعقوب برفع الراء والباء منهما، والباقون بجزمها. [4]

فمن رفع الراء من ﴿فيغفر﴾ ورفع الباء من ﴿ويعذب﴾، فعلى الاستئناف. والتقدير: فهو يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، ومن قرأ ﴿فيغفر، ويعذب﴾ بجزمهما، فهو عطف على قوله تعالى قبل:﴿ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ الواقع جوابا للشرط فأتبعه ما قبله ولم يقطعه، فحسنت المشاكلة في الكلام[5].

وعند التأمل في المعاني الناتجة عن التغاير الإعرابي بين القراءتين نجد أن قراءة الجزم عطفا على المجزوم " يحاسبكم " تهدف إلى إدخال الطمأنينة في نفوس المؤمنين بما تحمله الفاء من مباشرة وتعقيب دون تراخ، فكأن الآية تخبرهم بأن الله سيغفر لمن يشاء عقب الحساب مباشرة دون أن يطول الزمن بين الحساب والمغفرة.

(1) ابن خالويه. الحجة في القراءات السبع (ص: 235)

(2) ينظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، مصدر سابق، ص: 438

(3)محمد سيد طنطاوي. التفسير الوسيط للقرآن الكريم 15/9

(4) ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، مصدر سابق،2/ 270

(5) ابن زنجلة. حجة القراءات (ص: 152)

وقراءة الرفع على الاستئناف تشير إلى إسناد المغفرة إليه سبحانه دون غيره بعد تمام الحساب، ولذلك كان التقدير فهو لا غيره يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء[1].

3- قوله تعالى﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾ [البقرة: 233]

اخْتَلَف القراء فِي: ﴿لَا تُضَارَّ﴾ فَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَالْبَصْرِيَّانِ بِرَفْعِ الرَّاءِ، وَاخْتُلِفَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ فِي سُكُونِهَا مُخَفَّفَةً، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِفَتْحِهَا[2].

فقراءة الرفع على الْخَبَر و يقويها قَوْله قبلهَا ﴿لَا تكلّف نفس إِلَّا وسعهَا﴾ فأتبع الرّفْع الرّفْع نسقا عَلَيْهِ و صار خَبرا بِمَعْنى النَّهْي .

وقراءة فَتْح الرَّاء على النَّهْي ويقويها قِرَاءَة ابْن مَسْعُود وَابْن عَبَّاس قَرَأَ ذَلِك " لَا تضارر " براءين فَدلَّ ذَلِك على أَنه نهي مَحْض، فَلَمَّا اجْتمعت الراءان أدغمت الأولى فِي الثَّانِيَة وَفتحت الثَّانِيَة لالتقاء الساكنين[3].

ومعنى الآية في كل قراءة : النهي عن أن تضار الوالدة زوجها المُطلِّق بسبب ولده بأن تكلفه بما لا تتسع له قدرته مستغلة محبته لولده وعنايته بتنشئته تنشئة حسنة، والنهي كذلك موجه للزوج وذلك بألا يضارها بسبب الولد، بأن يستغل حنوها على وليدها، فيمنعها شيئاً من نفقتها، أو يأخذ منها طفلها وهي تريد إرضاعه[4].

وهذه المعاني أخذت من المفاعلة المضارة، وبالجملة فإن القراءتين تنسجمان على هذا النحو، وتتكاملان، ذلك أن { لاَ } في قوله : ﴿ لاَ تُضَآرَّ ﴾ يحتمل أن تكون نافية، فيكون الفعل مرفوعاً، على معنى نفي الضرر، ونفي الضرر يقتضي النهي عنه؛ ويحتمل أن تكون ناهية فيكون الفعل مجزوماً وهنا تدل على النهي الصريح، وعلى كل يحتمل أن يكون الفعل مبنياً للفاعل وللمفعول " والمعنى على كليهما واحد وهو أنه لَا يجوز أن يضر كل واحد منهما صاحبه، أو يُضَر مِن صاحبه بسبب عطفه على ولده وحنوه عليه. [5]

فكل هذه المعاني جاءت من خلال تغاير حركة واحدة.

(1) ينظر: الزمخشري. الكشاف323/2

(2) ينظر: ابن الجزري. النشر في القراءات العشر (2/ 227)

(3) ينظر: ابن زنجلة. حجة القراءات (ص: 136)

(4) ينظر: ابن عطية. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز312/1

(5) ينظر: زهرة التفاسير (2/ 810)

4- قوله تعالى ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا﴾ [طه: 69]

اخْتَلَف القراء فِي: ﴿تلقف مَا﴾ فَرَوَى ابْنُ ذَكْوَانَ رَفْعَ الْفَاءِ، وَرَوَى حَفْصٌ إِسْكَانَ اللَّامِ مَعَ تَخْفِيفِ الْقَافِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْجَزْمِ وَالتَّشْدِيدِ.[1] فمن قرأ بالرفع فقد أضمر الْفَاء، فَكَأَنَّهُ قَالَ: ألق مَا فِي يَمِينك فَإِنَّهَا تلقف، أَو يَجعله حَالا من مَا، ومن جزم فقد جعله جَوَابا للْأَمر قبله، وأَنَّثَ الفعلَ في «تَلْقَف» حَمْلاً على معنى «ما» لأنَّ معناها العصا[2].

5- قوله تعالى ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ﴾ [القصص: 34] اخْتلف القراء في ضم الْقَاف وإسكانها من قَوْله ﴿يصدقني﴾ فَقَرَأَ عَاصِم وَحَمْزَة ﴿يصدقني﴾ بِضَم الْقَاف، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ ﴿يصدقني﴾ جزما(3).

من رفع الفعل المضارع لم يَجعله جَوَابا لِلْأَمْرِ وَلَكِن جعله مستأنفا أي هو يصدقني، ويجوز أن يكون حَالا وَصفَة للنكرة وَالتَّقْدِير ردْءًا مُصدقا لي، ومن جزم جعله جوابا للطلب أرسله يصدقني[4].

والمعنى على قراءة الجزم أَن معنى الشَّرْط مَوْجُود فِيهِ وكأنه قال: إن ترسله معي يصدقني، وعلى قراءة الرفع جعل قَوْله "يصدقني" صفَة لـ"ردءا" لِأَنَّهُ نكرَة، والجمل بعد النكرات صفات، والمعنى: أن موسى عليه السلام سأل ربه أن يرسل معه معينا مصدقا له[5].

المطلب الثاني/ التغاير بين النصب والرفع في الأفعال وأثره في المعنى:

1- قوله تعالى ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: 27]

اخْتَلَف القراء العشرة فِي:﴿ وَلَا نُكَذِّبَ وَنَكُونَ﴾ فَقَرَأَ حَمْزَةُ وَيَعْقُوبُ وَحَفْصٌ بِنَصْبِ الْبَاءِ وَالنُّونِ فِيهِمَا ووَافَقَهُمُ ابْنُ عَامِرٍ فِي ﴿وَنَكُونَ﴾ وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالرَّفْعِ فِيهِمَا[6].

ومعنى القراءة على نصب الفعلين أنهم تمنوا الرد على أن يكونوا في حالة الرد غير مكذبين ومن المؤمنين كذلك، فالفعلان منصوبان بـ(أن) المضمرة، و(أن) وما بعدها منسبكان بمصدرين معطوفين على مصدر مفهوم من قوله ونرد.

(1) ينظر: ابن الجزري. النشر في القراءات العشر (2/ 321) وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (ص: 385)

(2) ينظر: ابن خالويه. الحجة في القراءات السبع (ص: 244) والمحرر الوجيز (4/ 52) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (8/ 75)

(3) ينظر: النشر في القراءات العشر (2/ 341)

(4) حجة القراءات (ص: 546)

(5) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها. مكي 174/2

(6) النشر في القراءات العشر (2/ 257)

وعلى قراءة الرفع فهم قد تمنوا هذه الأمور الثلاثة: ياليتنا نرد ولا نكذب، وياليتنا نكون من المؤمنين [1].

وهناك معنى آخر على قراءة الرفع وهو أن يكون الفعلان مستأنفين على معنى أنهم تمنوا الرد وحده ثم قالوا: " ولا نكذب ونكون من المؤمنين رددنا أم لم نرد، ولقد رد عليهم الله سبحانه وتعالى بقوله ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [الأنعام: 28] وهكذا بتغاير الحركات الإعرابية تنوعت المعاني واختلفت اختلاف تغاير لا اختلاف تضاد .

2- قوله تعالى ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾ [البقرة: 214] .

اختلف القراء العشرة في رفع المضارع ونصبه، فقَرَأَ نَافِعٌ بِالرَّفْعِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالنَّصْبِ [2] .

فالحجة لمن رفع أَنه أَرَادَ بقوله ﴿وزلزلوا﴾ الْمُضِيّ، وَبِقَوْلِهِ ﴿حَتَّى يَقُول﴾ الْحَال وَمِنْه قَول الْعَرَب قد مرض زيد حَتَّى لَا يرجونه فالمرض قد مضى وَهُوَ الْآن فِي هَذِه الْحَال، وَالْحجّة لمن نصب أَنه لم يَجْعَل القَوْل من سَبَب قَوْله وزلزلوا وَمِنْه قَول الْعَرَب قعدت حَتَّى تغيب الشَّمْس فَلَيْسَ قعودك سَببا لغيبوبة الشَّمْس، وتلخيص ذَلِك أَن من رفع الْفِعْل بعد حَتَّى كَانَ بِمَعْنى الْمَاضِي وَمن نَصبه كَانَ بِمَعْنى الِاسْتِقْبَال [3] .

وبالجملة فَقِرَاءَةُ الرَّفْعِ أَنْسَبُ بِظَاهِرِ السِّيَاقِ، وَقِرَاءَةُ النَّصْبِ أَنْسَبُ بِالْغَرَضِ الْمَسُوقِ لَهُ الْكَلَامُ، وَبِكِلْتَا الْقِرَاءَتَيْنِ يَحْصُلُ كِلَا الْغَرَضَيْنِ[4].

3- قوله تعالى﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: 245]

اخْتَلَف القراء العشرة في ﴿فَيُضَاعِفَهُ﴾ فَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَعَاصِمٌ وَيَعْقُوبُ بِنَصْبِ الْفَاءِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالرَّفْعِ[5].

وجه الرفع الاستئناف؛ أي: فهو يضاعفه، أو يكون معطوفا على "يقرض" ووجه النصب أنه جواب الاستفهام في المعنى، لأنَّ الاستفهامِ وإنْ وَقَعَ عن المُقْرِضِ لفظاً فهو عن الإقراضِ معنىً، فنصب بأن مضمرة بعد الفاء.

(1) الوجوه البلاغية ص 648

(2) النشر في القراءات العشر (227/2)

(3) الحجة في القراءات السبع (ص: 96)

(4) التحرير والتنوير (2/ 316)

(5) ينظر: ابن الجزري. النشر في القراءات العشر (2/ 228)

ونقل السمين الحلبي عن أبي البقاء العكبري قوله «ولا يجوز أن يكونَ جوابَ الاستفهامِ على اللفظِ؛ لأنَّ المُسْتَفْهَمَ عنه في اللفظِ المُقْرِضُ أي الفاعلُ للقرضِ، لا عن القرضِ، أي: الذي هو الفعلُ» [1].

4- قوله تعالى﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [إبراهيم: 46]

اختلف القراء العشرة في ﴿ لِتَزُولَ﴾ فَقَرَأَ الْكِسَائِيُّ بِفَتْحِ اللَّامِ الْأُولَى وَرَفْعِ الثَّانِيَةِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِكَسْرِ الْأُولَى، وَنَصْبِ الثَّانِيَةِ[2].

وعلى قراءة الكسائي اللَّام لَام التوكيد لم تُؤثر فِي الْفِعْل وَلم تزله عَن أصل إعرابه، وتزول رفع بالمضارعة كَمَا تَقول إِن زيدا ليقول وَ"إِن" فِي قَوْله ﴿وَإِن كَانَ مَكْرهمْ﴾ مُخَفّفَة من الثَّقِيلَة، وفي قراءة الباقين بِكَسْر اللَّام الأولى وَفتح اللَّام الْأَخِيرَة تكون "إِن" بمعنى ما وَاللَّام في " لتزول" لَام الْجُحُود.

والمعنى على قراءة الكسائي: وَإِن كَانَ مَكْرهمْ يبلغ فِي الكيد إِزَالَة الْجبَال، فَإِن الله – جلّ وَعز – ينصر دينه، فهَذِه الْقِرَاءَة توجب زَوَال الْجبَال لشدَّة مَكْرهمْ وعظمه، والمراد بالجبال حقيقتها، وَالْمعْنَى على قراءة الباقين وَمَا كَانَ مَكْرهمْ لتزول مِنْهُ الْجبَال أَي مَا كَانَ مَكْرهمْ ليزول بِهِ أَمر النَّبِي وَأمر دين الْإِسْلَام وثبوته كثبوت الْجبَال الراسيات، فهذه القراءة أفادت أَن مَكْرهمْ أضعف من أَن تَزُول مِنْهُ الْجبَال والمراد بذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم وصحابته [3].

5- قوله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ﴾ [لقمان: 6] .

اخْتَلَف القراء فِي:﴿ وَيَتَّخِذَهَا﴾ فَقَرَأَ يَعْقُوبُ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَخَلَفٌ وَحَفْصٌ بِالنَّصْبِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالرَّفْعِ[4].

فالحجة لمن رفع أَنه رده على قَوْله ﴿يَشْتَرِي﴾ وجوز بعضهم أن يكون على إضمار هو، وَالْحجّة لمن نصب أَنه رده على قَوْله "ليضل " لأنه أقرب إليه، وليتخذها هزوا[5].

والضمير في " يتخذها "على قراءة النصب يعود على " سبيل الله " والمعنى: أنه يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وليتخذ سبيل الله هزوا، والسبيل يجوز أن يؤنث قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: 108].

(1) ينظر: السمين الحلبي . الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (2/ 510)

(2) ينظر: ابن الجزري. النشر في القراءات العشر (2/ 300)

(3) حجة القراءات (ص: 379) والحجة في القراءات السبع (ص: 204)

(4) النشر في القراءات العشر (2/ 346)

(5) ينظر: ابن خالويه. الحجة في القراءات السبع (ص: 284)

وعلى قراءة الرفع يعود الضمير في " يتخذها " على " الحديث " وهو مفرد لفظا ومعناه الجمع الأحاديث فهو اسم جنس، والمعنى : أنه يشتري لهو الأحاديث ويتخذ هذه الأحاديث هزوا، ويجوز عود الضمير على الآيات المذكورة في أول السورة ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [لقمان: 2] أي أنه يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله ويتخذ هذه الآيات هزوا[1].

الخاتمة وأهم النتائج

بتوفيق من الله سبحانه، استطعت أن أعالج في هذه الدراسة قضايا مهمة تتعلق بكتاب الله وقراءاته المتواترة، من حيث اختلاف هذه القراءات وتأثيره في المعنى وهذه القراءات كلّه والأوجه بأسرها من اللغات هي التي أنزل القرآن الكريم عليها، وقرأ بها رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، وأقرأ بها وأباح الله تعالى لنبيّه القراءة بجميعها، وتوصلت بهذه الدراسة إلى النتائج الآتية :

- تعدد القراءات القرآنية في الآية الواحدة، يقوم مقام تعدد كلمات القرآن الكريم، وهذا من إعجاز كلام الله رب العالمين، ومما انفرد به النص الكريم، ولا يستطيعه لغوي، أو بياني في تصوير خيال.
- الاختلافات في القراءة القرآنية على كثرتها لا تؤدي إلى تناقض بل إلى تنوع، ومعنى هذا أن القرآن معجز إذا قرئ بهذه القراءة، ومعجز أيضا إذا قرئ بالقراءة الثانية، ومعجز كذلك إذا قرئ بالقراءة الثالثة، وهلم جرا، ومن هنا تتعدد المعجزات بتعدد تلك الوجوه والحروف.
- مجموع القراءتين المتواترتين قد يكون دالا على معنيين في لفظ واحد متلاقيين غير متضادين، وقد يكون اختلاف القراءتين مؤديا إلى بيان حكم بقراءة، وبيان حكم آخر متمم له بقراءة أخرى، فتستفاد الأحكام في أوجز تعبير، وذلك من الإيجاز المعجز، الذي لا يوجد في كلام الناس، ولكنه في كلام خالق الناس.
- وختاما هذا آخر ما يسر الله سبحانه لي أن أتناوله في هذا العمل العلمي، فالله الكريم أسأل أن يكتب لي السداد والرشاد، وأن يلهمني الإخلاص في القول والعمل، وصلى الله وسلم وبارك على النبي الحبيب، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم
- ابن الجزري محمد بن محمد بن محمد .النشر في القراءات العشر. قدم له الأستاذ/ علي محمد الضباع. منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.1987م

(1) ينظر: الفراء. معاني القرآن .327/2 والبحر المحيط لأبي حيان 184/7 و مكي.الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها. 188/2

- ابن الجزري. محمد بن محمد بن محمد بن يوسف. تحبير التيسير في القراءات العشر. المحقق: د. أحمد محمد مفلح القضاة. الناشر: دار الفرقان – الأردن / عمان. الطبعة: الأولى، 1421هـ – 2000م
- ابن الجزري، محمد بن محمد بن محمد. شرح طيبة النشر في القراءات العشر، ضبط وتعليق الشيخ/ أنس أبو مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1. تاريخ الطبع بلا
- ابن الجزري، محمد بن محمد بن محمد. غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق/ برجستزار، الناشر/ مكتبة الخانجي، القاهرة. **تاريخ الطبع 1351 هـ**
- ابن باذش. أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الغرناطي، أبو جعفر .الإقناع في القراءات السبع. الناشر: دار الصحابة للتراث. تاريخ الطبع : بلا
- ابن خالويه. الحسين بن أحمد أبو عبد الله . الحجة في القراءات السبع. المحقق: د. عبد العال سالم مكرم. الناشر: دار الشروق – بيروت. الطبعة: الرابعة، 1401 هـ
- ابن زنجلة. عبد الرحمن بن محمد أبو زرعة.حجة القراءات. تحقيق : سعيد الأفغاني .دار النشر / مؤسسة الرسالة – بيروت. الطبعة الثانية 1402 – 1982م.
- ابن عطية. أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد. الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الأولى – 1422 هـ.
- أبوحيان. محمد بن يوسف الأندلسي . ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: د. رجب عثمان محمد، ومراجعة: د. رمضان عبد التواب، ط1،مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1998م.
- البغدادي، أحمد بن موسى، ابن مجاهد. كتاب السبعة في القراءات. تحقيق الدكتور/ شوقي ضيف. الطبعة الرابعة. 1985م دار المعارف. القاهرة. مصر.
- البنا شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر. حققه وقدم له الدكتور/ شعبان محمد إسماعيل. عالم الكتب. الطبعة الأولى. تاريخ الطبع بلا
- الحلبي، أبو الحسن طاهر المقرئ، ابن غلبون . التذكرة في القراءات الثمان. دراسة وتحقيق / أيمن رشدي سويد. الطبعة الأولى. تاريخ الطبع بلا. جدة. المملكة العربية السعودية.
- الحلبي، السمين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم. الدر المصون في علم الكتاب المكنون. تحقيق الدكتور/ احمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، **1420هـ – 1999 م**
- الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو. الأحرف السبعة للقرآن. تحقيق / مجدي السيد وجمال الدين شرف. الناشر/ دار الصحابة للتراث بطنطا. 1419هـ

- الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، المؤلف، دار النشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة – 1407 هـ تحقيق / عبد الرزاق المهدي.
- السيوطي. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. الإتقان في علوم القرآن، ط3، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1951م
- الطاهر، محمد الطاهر بن محمد بن محمد التونسي، ابن عاشور. التحرير والتنوير، الناشر: الناشر الدار التونسية للنشر – سنة النشر: 1984 هـ.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر. جامع البيان في تأويل القرآن. المحقق/ أحمد محمد شاكر. الناشر: مؤسسة الرسالة.الطبعة: الأولى، 1420 هـ – 2000 م.
- العربي . القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر. بأحكام القرآن. راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. الطبعة: الثالثة، 1424 هـ – 2003 م
- الفارسي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار أبو علي، الحجة في علل القراءات السبع، المحقق: بدر الدين قهوجي –بشير جويجابي. راجعه ودققه: عبد العزيز رباح –أحمد يوسف الدقاق، الطبعة: الثانية، 1413 هـ –1993م، دار المأمون للتراث –دمشق / بيروت.
- القرطبي. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين . الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة. الطبعة: الثانية، 1384هـ – 1964 م
- محيسن محمد سالم الهادي إلى شرح طيبة النشر في القراءات العشر. دار البيان العربي. القاهرة. مصر. الطبعة الأولى . تاريخ الطبع : بلا

Syntactic Heterogeneity between the Frequent Quranic Readings and its Effect on the Meaning (An Analytical Descriptive Study of Selected Models)

Ibrahim Ahmed Abdel Jalil

Department of Arabic Language, Faculty of Islamic Studies, University of Misrata

ibrahemabduljalel@gmail.com

Abstract

The study aims to examine selected models in which the ten readers differed in their reading between the different "Harakat" movements in nouns and verbs and show the effect of the syntactic contrast between each reading of the Qur'anic readings. Besides, the research aims to establish the methodology of Qur'anic readings with the help of language books, interpretation, and guidance. The analytical approach was used to achieve the research goals. The findings revealed that the multiplicity of Qur'anic readings in a single verse replaces the multiplicity of the words of the Noble Qur'an, and this is a part of the Miracle of God's Words Lord of the Worlds that is unique to the noble verses. Although there are many differences in Quranic readings, they do not lead to contradiction but rather to diversity, and this means that the Quran is miraculous in every single reading. Hence, the multiplicity of miracles in the multiplicity of those readings and letters, and the two frequent readings may be indicative of two meanings to the same term. The difference in the two readings may lead to a statement of a ruling by a reading and a statement of another ruling that is complemented by another reading so that, the rulings are benefited in the shortest expression, and this is a type of miraculous brevity which is not found in the words of people but in the words of Allah (SWT).

Keywords: Quranic Readings, frequent readings